الخط العربي نشأته وتطوره

للدكتور الطاهر أحمد مكي

هذا بحث (1) قيم خص به الاستاذ الجليل الدكتور الطاهر احمد مكي استاذ الادب الاندلسي في جامعة القاهرة ، مجلة « اللسان العربي » وحضرة الاستاذ ضليع في تاريخ الحضارة الاندلسية ومختلف معالمها .

فنحن ننشر هذه الدراسة الشيقة شاكرين :

... نحن نواجه قضية علمية لا بأس من اسقاط الروايات التي عجز أصحابها عن مواجهة المشكلة ، ولم يصبروا على محنة البحث ، فلاذوا بالاسطورة يجدون في رحابها التفسير والتعليل والرضا والراحة .

فالحروف العربية ، عند هؤلاء ، انزلت على آدم عليه السلام ، كتبها في طين وطبخه ، بين خطوط وكتب كثيرة ، قبل موته بثلثمائة سنة ، فلما اظل الغرق الارض اصاب كل قوم كتابهم . وقيل ان اول من وضعها اخنوخ ، وهو ادريس عليه السلام ، وقيل : « اول من كتب بالعربية اسماعيل » ، وان نفيسا ونصرا وتيما ودومة ابناءه وضعوا كتابا واحدا ، وجعلوه سطرا واحدا ، موصول الحروف كلها غير متفرق، ثم فرقه نبت وهميسع وقيذار، وفرقوا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر .

اما الشيخ شمس الدين بن الاكفاني فكان ، في كتابه « ارشاد القاصد » اكثر التصاقا بالارض ، وتحريا للواقع ، وايمانا بالانسان ، فهو الذي صنع الخط ، « وبه ظهرت خاصة النوع الانساني من القوة الى الفعل ، وامتاز به عن سائر الحيوان ، وضبط الاموال ، وترتيب الاحوال ، وحفظ العلوم في الادوار ، واستمرارها على الاطوار ، وانتقال الاخبار من زمان الى زمان ، وحمل السر من مكان الى مكان » .

وكان ابن خلدون (ت 808 هـ = 1406 م) اول عالم ، عربي او غير عربي ، ربط بين الحضارة وابتداع الخط ، بين اجادته وتقدمها ، ثم تتبع مده داخل الجزيرة العربية : « انما يكون ـ الخط ـ بالتعليم ، وعلى قدر الاجتماع والعمران والتناغي في الكمالات والطلب تكون جودة الخط في المدينة ، اذ هو من جملة الصنائع ، وقد قدمنا ان هذا شانها ، وانها تابعة للعمران ، ولهذا نجد اكثر البدو اميين لا يكتبون ولا يقرءون ، ومن قرأ منهم او كتب فيكون خطه قاصرا ، وقراءته غير نافذة ، ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واحسن واسهل طريقا ، لاستحكام الصنعة فيها ، كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد ، وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط ، يلقون على المتعلم قوانين واحكاما في وضع كل حرف ،

1) فصل من مقدمة كتاب « دراسة في مصادر الادب» الذي سوف تنشره دار المعارف في القاهرة خلال الاشهر القريبة .

ويزيدون الى ذلك المباشرة بتعليم وضعه ، فتعتضد لديه رتبة العلم والحسن فى التعليم ؛ وتأتي ملكته على اتم الوجوه ، وانما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها، بكثرة العمران ، وانفساح الاعمال » .

« وقد كان الخط العربي بالغا مبالغه » من الاحكام والاتقان والجودة فى دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الحميري، وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر، نسباء التبابعة فى العصبية ، والمجددين لملك العرب بأرض العراق ، ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين ، وكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ، ومن الحيرة لقنته اهل الطائف وقريش فيما ذكر » . وصمت ابن خلدون ، احتراما لشرف الكلمة ، عندما غمت عليه نشأته ، فلم يشر الى الخطوات الاولى التي سبقت اتقانه وجودته عند أولئك وهؤلاء .

ولابن عباس رواية ، من بين روايات كثيرة تنسب اليه ، مؤداها : « ان اول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان ، وبولان قبيلة من طيء ، نزلوا مدينة الانبار (1) ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ، اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ، ثم قاسوها على هجاء السريانية ، فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الاعجام ، ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر فى الناس وتداولوه » . وهي رواية الصناعة فيها واضحة ، والسجع الذي فى « مرة وسدرة وجدرة » يوحي بأنها شخصيات لا وجود لها الا فى مخيلة صانعها ، ويصعب على العقل ان يتصور ثلاثة من الغرباء ، التقوا عفوا او قصدا ، يمكن ان يبتدعوا ، ببساطة وفى زمن قصير ، ابجدية كاملة ، لكن الرواية تضم اشارتين لهما اهمية بالغة ، اولاهما ان الخط العربي ، فى بعض مراحله ، افاد من الرسم السرياني ، واخراهما ان الانبار كانت من بين مواطن تعليم الخط العربي واذاعته فى بقية انحاء الجزيرة العربية .

وتأتي روايات اخرى فتفصل ما اجمله ابن عباس فى هذه الرواية ، فقد تعلم بشر بن عبد الملك الكندي الخط فى الانبار ، ثم خرج الى مكة فى بعض شأنه ، وهناك اصهر الى بني أمية ، فتزوج الصهباء بنت حرب ابن أمية ، وعلم اباها واخاها سفيان بن حرب الخط ، وتعلمه معاوية من عمه سفيان ، وتعلمه معه عمر بن الخطاب ، ثم شاع الخط فى سائر قريش .

وثمة روايات أخرى تزيد الامر تحديدا ، فتجعل انتقال الخط من الانبار الى الحيرة ، ومن الحيرة الى داخل الجزيرة ، ودور الحيرة فى الادب العربي ، والحياة العقلية العربية ، واضحا ومعروفا ، اجمله ابن رسته فى كتابه « الاعلاق النفيسة » : « ان اهل الحيرة علموا قريشا الزندقة فى الجاهلية ، والكتابة فى صدر الاسلام » .

من الواضح اذن ان الخط العربي جاء الى الجزيرة العربية من خارجها ، من اطارفها ذات الحضارة المتقدمة ، والمتفاعلة مع ما جاورها من حضارات اكثر تقدما . ولم يتفق المؤرخون العرب على المكان الذي كان المصدر الاول ، ولا على اول ناقل له، وهو امر طبيعي ، فالاقرب الى المنطق ، فى بيئة كانت، رغم صحاريها ، محور التقاء بين عدد من الحضارات، ومحطا للمسافرين من الشمال الى الجنوب ، ومن الشرق الى الغرب ، وتحترف التجارة او الحراسة او الوساطة بين كل هؤلاء ، ان تأخذ عنهم جميعا ، وان تقلدهم فيما يسبقونها ، وان يتم ذلك على ايد كثيرة ، تمثلته على آماد طويلة ، فكان لهم اخيرا رسمهم العربي المستقل .

تلك وجهة نظر العرب القدامى ، اما البحث الحديث فسلك بالامر وجهة اخرى . حاول ان يتتبع نشأة الابجديات فيما حول الجزيرة العربية نفسها ، وان يستنطق ما عثر عليه من نقوش فى اطارفها ، ورغم النتائج العلمية التي توصل اليها ، فان الكلمة الفاصلة لا تزال فى انتظار المزيد من الحقائق ، لان كنوز قلب الجزيرة العربية المطمورة من الشواهد والمخلفات والآثار ، اذا ما اميط اللثام عنها ، يمكن ان تسد الفجوات القائمة فى النظريات الحديثة ، وان تحول كثيرا من الظنون والشبهات الى يقين .

---

1) مدينة قديمة فى العراق ، على الشاطىء الايسر للفرات ، فى الشمال الشرقي من العراق فتحها خالد ابن الوليد عام 634 م .

كانت شبه‌جزيرة سيناء الملاصقة لوطن الانباط(1) مهد اقدم نقوش ابجدية حصل عليها حتى الآن . وهذه النقوش قد كشفت حديثا عند سرابيط الخادم ، ونقلت الى متحف القاهرة . وقد قامت عدة محاولات لفك طلاسمها ، وهذه الكتابة من صنع العمال من اهل سيناء فى مناجم الفيروز ، ويرجع تاريخها الى سنة 1850 قبل الميلاد ، اي انها اقدم بنحو ستة قرون من نقش احيرام ملك جبيل (2) ، والتي وجدها العالم الاثري بيير مونتيه P. Montet واعتبرت التالية لاقدم النقوش الفينيقية المعروفة .

وبعد تطور الابجدية السينائية نقلت حروفها الى شمال الشام ، ثم حولت هناك الى الحروف المسمارية الفعلية ، كما تدل على ذلك لوحات راس الشمرة ، التي ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن الواضح أن هذا الخط الذي كشف حديثا هو خط ابجدي سامي ، ورغم انه كتب بالقلم على لوحات من الغرين فان حروفه ليست مستعارة من الحروف السومرية الاكادية السابقة ، ففيه قد حولت الابجدية السينائية الى غرار الرموز (الوتدية) المسمارية .

ويرى العلماء المحدثون ان الكنعانيين ، وكانوا اول من استعمل طريقة للكتابة تستعمل فيها الحروف خالصة ، قد نقلوا طريقتهم فى الاصل عن الحروف الهيرو غليفية المصرية ، ولكن الهوة بين طريقتي الكتابة كانت دائما شاسعة ، فجاءت الكتابة السينائية الآن لتصل بين الكتابتين ، ولتكون الحلقة المفقودة بينهما . ونضرب لذلك مثلا فنقول ان السامي من اهل سيناء اخذ من الهيروغيلفية الرمز الذي شكله راس ثور (بصرف النظر عما يعني راس الثور فى اللغة المصرية) واطلق على راس الثور هذا فى لغته اسم « الف » ، ثم استعمل هذا الرمز ليدل وفق قواعد الاكرفونية على الصوت ، وبالطريقة نفسها اطلق على الرمز الذي يدل على البيت وسماه « بث » واستعمله للدلالة على الصوت (ب) وهكذا (3) .

والاصل السينائي للابجدية يشرح لنا كيف كان فى الامكان نقلها من ناحية الى جنوب بلاد العرب ، حيث مرت بتطور مستقل ، واستعملها المعينيون فى تاريخ ربما كان يرجع الى سنة 1200 ق . م . ومن ناحية اخرى كيف نقلت الى الشمال حيث الساحل الفينيقي ، ولقد نقلت الابجدية مع التجارة فى الفيروز الذي كان يبيعه العرب الى الفينيقيين ، كما انها بالمثل تماما نقلت مع التجارة من الفنيقيين الى اليونان ، واصبحت أم الابجديات جميعا (4) .

واقدم رسم عربي وصل الينا كان مشتقا من خط المسند (5) اليمني ، وهذا مشتق بدوره من الخط الكنعاني ، ووصل الينا فى نقوش تحمل ثلاثة انواع متقاربة منه ، عثر عليها فى منطقة واسعة فى شمال شبه الجزيرة العربية ، تمتد من دمشق حتى منطقة العلا ؛ هي النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية . والخط اللحياني لا يكاد يختلف عن خط المسند الذي اشتق منه ، ويسير مستعرضا من اليمين الى الشمال. والخط الثمودي مشتق من خط المسند ايضا، واتجاهاته غير ثابتة ، وغالبا يتجه من اعلى الى اسفل . والخط الصفوي يشبه الخط اللحياني غير انه مختلف الاتجاهات ، فتارة يقرا من اليمين الى الشمال واخرى من الشمال الى اليمين . وحروف الهجاء فيها كلها ترسم متفرقة ، واغفلت الحركات القصيرة ، واصوات المد

---

1) فى اوائل القرن السادس قبل الميلاد جاء الانباط ،كقبائل بدوية ، من الموضع الذي يعرف باسم ما وراء الاردن ؛ وجعلوا عاصمتهم البتراء ؛ وهي فى العبرية سلع ؛ وفى العربية الرقيم ؛ واسمها الحديث وادي موسى . وكان الانباط يتكلمون اللغة العربية ، ويستخدمون الحروف الآرامية ؛ وبلغت البتراء اقصى درجات الغنى والرخاء فى القرن الاول الميلادي ؛ وكان الانباط يكونون حلقة هامة فى السلسلة التجارية التي كانت عاملا فى ازدهار بلاد العرب الجنوبية ، وبعد القرن الاول الميلادي فقدت مزايا المركز الممتاز ؛ واخذت دولة الانباط تتدهور . ثم انطوت تحت راية الامبراطورية الرومانية ، واختفى تاريخ البتراء بعدها لعدة قرون .

2) جبيل مدينة من اشهر مدن الفينيقيين ، ويطلق عليها فى المصادر اللاتينة اسم بيبلوس .

3) فيليب خوري حتى : تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، ص 84 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1949 .

4) المصدر السابق ؛ نفس الصفحة .

5) سمي المسند لان معظم حروفه خطوط تستند الى اعمدة ، وكان علماء المسلمين هم الذين انتبهوا الى هذه الظاهرة ، واطلقوا عليه هذا الاسم .

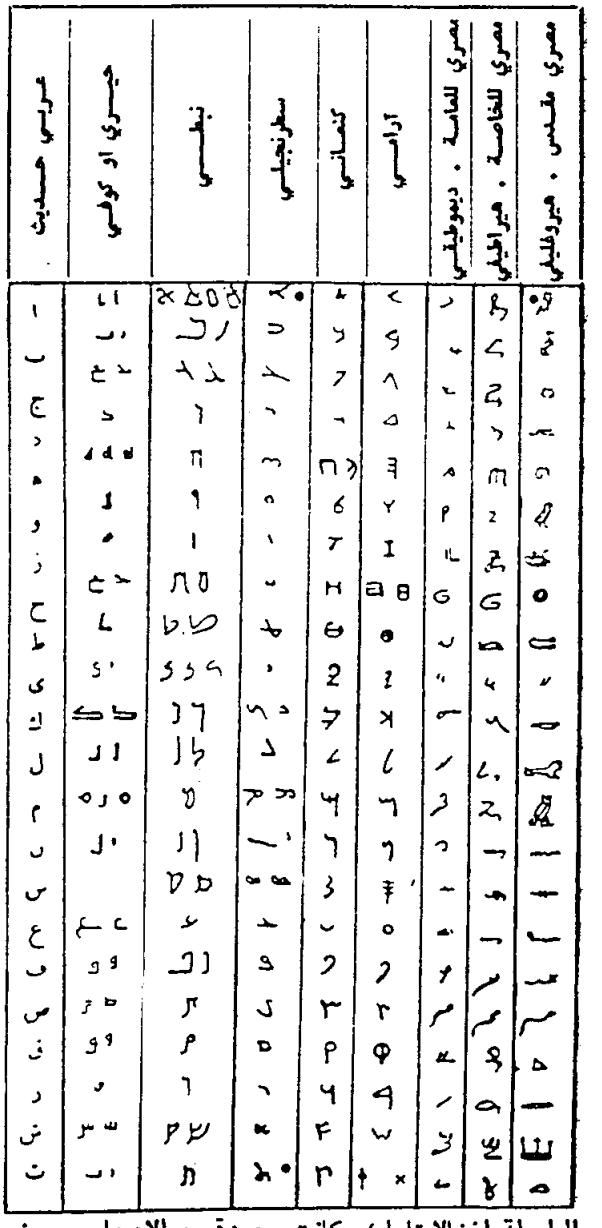

الطويلة اغفالا تاما ، وكانت مجردة من الاعجام . وبعض حروفها يستخدم للرمز الى اكثر من صوت واحد .

لدينا عدد من النقوش يمثل تطور الخط العربي الذي نكتب به الآن فى مراحله المختلفة ، منذ كان تقليدا للخط النبطي ، او هو الخط النبطي محورا ، الى ان استقام فنا قائما بذاته ، له اصوله وقواعده واساتذته والوانه على النحو الذي يعرف به اليوم . وخارج عن موضوعنا ان نعرض لكل هذه النقوش ، فلذلك موضعه من الدراسات السامية ، وانما يعنينا ان نشير الى بعض منها ، بما فيها الخط النبطي ، لتعين على تصور مراحل تدرج الخط العربي .

فقد عثر فى ام الجمال ، جنوب حوران ، من اعمال شرقي الاردن ، على نقش من ثلاثة سطور ، آرامي اللغة ، نبطي الخط ، وصورته :

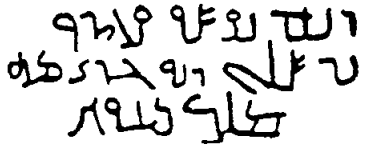

وكلماته فى حروف عربية حديثة هي :

1 — دنه نفسو فهرو .
2 — بر سلى ربو جذيمت .
3 — ملك تنوخ .

وترجمته الى اللغة العربية :

1 — هذا قبر (1) فهر .
2 — ابن سلى مربى جذيمة .
3 — ملك تنوخ .

وقد وجد النقش بلا تاريخ ، ويرجح المستشرق الالماني انوليتمان Enno Littman والكونت ذي فوجويه De Vogûé انه يرجع الى عام 270 م ، ويميل ليتمان الى ان كاتب النقش عربي يعرف الآرامية ، لانه وضع اسماء الاعلام العربية فى قالب آرامي بزيادة حرف الواو فى كلمات : نفس وفهر ومربى . ويرى ان حرف الواو الزائد وضع لينوب عن التنوين فى حالة الرفع ، ولعل كاتب هذا النقش اراد باثبات الواو ان يدل القارىء على النطق الصحيح للكلمة . ويضم النص حروفا غير مرتبط بعضها ببعض ، مثل حرف السين من كلمة « نفسو » فى السطر الاول ، والياء من كلمة « جذيمت » فى آخر السطر الثاني ، اما كلمتا « سلى » و « ملك » فرسمهما قريب جدا من رسمهما العربي الاسلامي .

ويليه نقش « النمارة » ، وقد عثر عليه ديسو Dussaud وماكلر Macler عام 1901 م ، على بعد كيلو متر واحد من النمارة القائمة على انقاض مخفر روماني قديم شرقي جبل الدروز ، على مقربة من دمشق ، واطلق عليه اسمها ، وكتب تخليدا لذكرى الملك امرىء

1) كلمة نفس تعني قبرا فى اللغة العربية البائدة .

القيس بن عمرو المتوفى عام 328م ، وكان ملكا على الحيرة وامتد نفوذه حتى بادية الشام ، ويحمل تاريخ سنة 223 من سقوط سلع ، وهي توافق تاريخ وفاة الملك ، وصورة النقش :

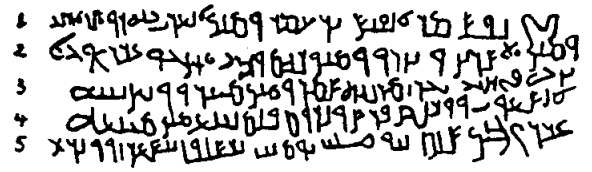

وكلماته فى حروف عربية :

1 — تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو اسر التج .

2 — وملك الاسدين ونزرا وملوكهم وهرب مذحجوا عكدى وجا .

3 — بزجى فى حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه .

4 — الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

5 — عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده .

وترجمته الى العربية :

1 — هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج .

2 — وملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهرب مذحـــج بقوته وجاء

3 — الى نزجى فى حبج نجران مدينة شمر ، وملك معدا وانزل بنيه

4 — الشعوب . ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

5 — فى القوة . هلك سنة 223 يوم 7 كسلول (1) ، ليسعد الذين ولدهم .

والنقش ، كما ترى من صورته ، مدون بالرسم النبطي المتصل الحروف ، ويشتد وجه الشبه بينه وبين الرسم العربي فى اول مراحله ، ويشتمل على جمـــل كثيرة تتفق كل الاتفاق مع اللغة العربية الباقية ، مثل : « فلم يبلغ ملك مبلغه » و « نزل بنيه الشعوب » و « ملك العرب كلها » و « هلك سنة » ، ويمكن القول أن هذه الجمل اقدم ما وصلنا مدونا من الاسلـــوب العربي الذي جاء فيه الادب الجاهلي . وكان الرايفيه انه كتب باللغة الآرامية ، ويضم بعضا من الكلمـــات العربية ، ولكن كثرة هذه الكلمات ، واتفاقها مع العربية الباقية ، جعل المستشرق انوليتمان يرى العكس ، ويقرر انه نقش عربي مكتوب بالقلم النبطي ، ويشتمل على بعض الالفاظ الآرامية ، واكثر كلماته تبدو واضحة يستطيع أن يتبينها اي قارىء مثقف معاصر مع شيء من التأمل ، ففي السطر الاول : نفس مر القيس بن عمر ملك العرب . وفى الثاني : وملك الاسدين ونـــزروا وملوكهم ... وفى الثالث : ... مدينة شمر وملك معد (2) . وفى الرابع : الشعوب ... فلم يبلغ ملك مبلغه . وفى الخامس : عكدي ، هلك سنة ... يوم ...

ثم عثر على نقشين هامين أحدث تاريخا من نقش « النمارة » ، ويمثلان فى تاريخ الخط العربي تطـــورا اكثر تقدما ، فرسمهما مستقل عن الرسم النبطي ، او قطع مرحلة هامة فى طريق الاستقلال عنه . وفيهمـــا تقترب صورة الحرف من الصورة التي نستخدمها الآن، ولا يجد المرء صعوبة كبيرة فى قراءة كلماته ، وقـــد اكتشف الاول منهما الاثري ساخو Sachau عام 1879 ، واطلق عليه نقش « زبد » ، اسم مدينة خربة بـــين قنسرين ونهر الفرات ، فى الجنوب الشرقي من مدينة حلب ، ووجد على احد ابواب المعابد المقامة للقديس سرج ، ويرجع تاريخه الى عام 512 م ، وهو مدون فى ثلاث لغات : العربية القديمة ، والسريانية واليونانية، وصورة ما بقي من الكتابة العربية هي :

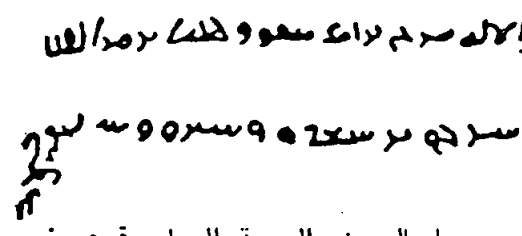

ورسمها بالحروف العربية المعاصرة هو :

1 — م الاله سرجو بر امت منفو وهنىء بر مر القيس .

2 — و سرجو بر سعدو وسترو و (شر) يحو بتميمي .

---

1) كسلول : كانون الاول .

2) التبس الامر على الدكتور ناصر الدين الاسد فى تفسيره كلمات النقش ، فجعل سطوره اربعة وهي خمسة ، واسقط السطر الثالث تماما ، وفسر كلمات السطر الرابع على انه الثالث ، والخامس على انه الرابع . انظر : « مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية » ، ص 28 و 29 .

ويشتمل النص على أسماء أعلام عربية يظن أنها أسماء الذين اشتركوا فى بناء الكنيسة ، ويرى المستشرق الفرنسي بلاشير Blachere أن النص العربي ربما أضيف الى النقش فى زمن متأخر لانه ليس ترجمة للنص السرياني اليوناني ، وسائر كلمات النقش ، كما يبدو من الصورة ، عربية الخط ، على اختلاف العلماء فى قراءتها .

والنقش الثاني أحدث من نقش « زبد » بأكثر من نصف قرن تقريبا ، وعثر عليه العالم فتزتين Wetztein فى حوران اللجا الواقعة جنوب دمشق ، شمال غربي جبل الدروز ، عام 1864 ، ومكتوب باللغتين اليونانية والعربية ، ووصل الينا قسمه العربي سليما كامل الكلمات ، وهو نصب تذكاري اقيم حسب عبارة النص اليوناني للقديس يوحنا المعمدان، ويحمل تاريخ عام 463 حسب تقويم بصري ، أو ما يعادل 568 للميلاد ، وصورته :

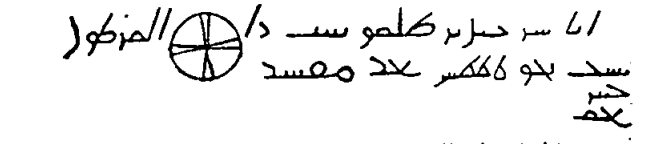

وكلماته فى الرسم العربي الحديث :

1 — أنا شرحيل بن ظلموا (= ظالم) بنيت ذا المرطول (= الكنيسة) .
2 — سنت 463 بعد مفسد .
3 — خيبر
4 — بعم (= بعام) (1) .

وهذا النقش هو أول نص جاهلي عربي كامل فى كل كلماته ، وبه أصبح بين أيدينا نموذج لطريقة كتابية تكونت نهائيا ، ولا تختلف عن بقية النقوش التي سنعثر عليها فيما بعد الهجرة الا فى اشياء قليلة مردها الى المواد المستعملة ، أو مهارة النقاش .

أما اقدم كتابة اسلامية وصلت الينا ، فنصب على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خير ، وعثر عليه فى الفسطاط . ويعود تاريخه الى 31 للهجرة (= 652 م) ويوجد فى متحف الآثار الاسلامية بالقاهرة ، وهو النقش الوحيد الذي بين أيدينا من هذه الفترة المبكرة من تاريخ الكتابة العربية . وذكر الدكتور ناصر الدين الاسد أن « الدكتور محمد حميد الله عثر على عدة نقوش على قمة الطرف الجنوبي لجبل سلع ، فى المدينة المنورة ، خارج سورها الشمالي ، ويرجح — أى الدكتور حميد الله — أن هذه النقوش ترجع فى تاريخها الى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة » . لكن الدكتور ناصر الاسد اكتفى بهذه الاشارة ، دون أن يورد نص هذه النقوش أو صورتها ، وأحالنا على المصدر الذي اعتمد عليه ، وهو مجلة الثقافة الاسلامية Islamic Culture وهي ليست بين يدي ، ولا فى مكنتي الآن ، لازجع اليها (2)

وصورة النقش فيما يلي :

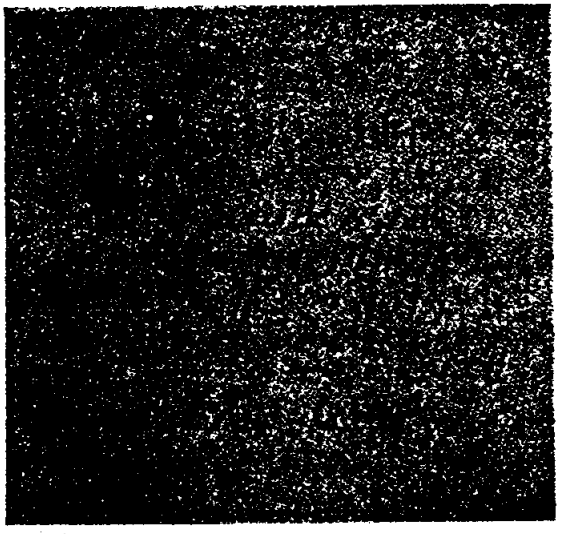

ونصه :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
2 — لعبد الرحمن بن خير الحجازي اللهم اغفر له (3)

---

1) كان ليتمان أول من فك رموز (مفسد خيبر بعام) ، وكانت قبله مبهمة ، ويرى أنها تشير الى غزوة أحد امراء بني غسان لخيبر ، ويستدل بفقرة جاءت فى كتاب « المعارف » لابن قتيبة : « ثم ملك بعده الحارث بن أبي شمر ... وكان غزا خيبر فسبى من اهلها ، ثم اعتقهم بعد ما قدم الشام » .
2) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 32 .
3) يلاحظ ان الكلمات مجرد من الاعجام ، والرمز الى اصوات المد الطويلة ، ولذلك قرئت على أوجه كثيرة . فقرأ فيت G. Wiet الكلمة الرابعة « خير » ، وقراها ولفنسون « جبر » ويرى ليتمان انها يمكن ان تقرأ « جابر » أو « جبار » أو « جبير » . وقرأ فيت الكلمة الخامسة « الحجري » وآثر ولفنسون « الحجازي » .

3 — وادخله فى رحمة منك وآتنا معه
4 — استغفر له اذا قرأ هذا الكتاب
5 — وقل آمين وكتب هذا
6 — لكتب (الكتاب) فى جمدى (جمادى) الآ
7 — خر من سنت احدى و
8 — ثلثين (ثلاثين) .

ويلاحظ أن التأثير الاسلامي واضح فى النقش ، وبعض كلماته مقتبس من القرآن . ولدينا نقشان آخران يرجعان الى هذا القرن ، أولهما عثر عليه فى قبة الصخرة ببيت المقدس ، ويرجع الى عام 72 هـ = 691 م ، والثاني نقوش قصر برقة ، وتحمل تاريخ 81 هـ = 700 م .

لكن كتابة النقوش لها طريقتها ، والكتابةالعادية لمتطلبات الحياة اليومية ، أو تسجيل الوثائق الادبية، لها طريقة اكثر بساطة ، وأشد أناقة ، واقدم ما لدينا منها ثلاث رسائل بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، والى المنذر ابن ساوى ، والى النجاشي فى الحبشة ، وقد عثر على ما يظن أنه الاصول الحقيقية لهذه الرسائل ، ومهما يكن الراي فى أصالتها ، فجانب الرسم منها يصور ، دون ريب طريقة كتابة الرسائل فى القرن الاول الهجري .

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابه الى المقوقس ، عظيم القبط فى مصر ، مع حاطب بن أبي بلتعة ، سنة ست من الهجرة ، وزعم بعض المستشرقين أنهم وجدوا النسخة الاصلية للكتاب فى الصعيد (1) ، وصورتها :

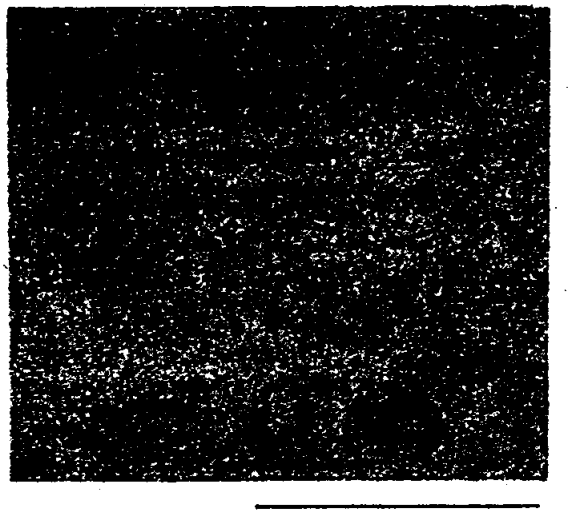

ونصها :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
2 — سوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على
3 — من اتبع الهدى أما بعد فاني
4 — ادعوك بدعاية الاسلام أسلم
5 — تسلم يؤتك الله أجرك مرتين
6 — فان توليت فعليك اثم كل القبط
7 — يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة
8 — سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله
9 — ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا
10 — بعضا أربابا من دون الله فان
11 — تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مس
12 — سلمون .

وارسل الثانية الى المنذر بن ساوى العبدى صاحب البحرين ، حملها اليه العلاء بن الحضرمي ، وكتبت اليه ردا على رسالة منه الى الرسول عند ما دعاه الى الاسلام وصورتها :

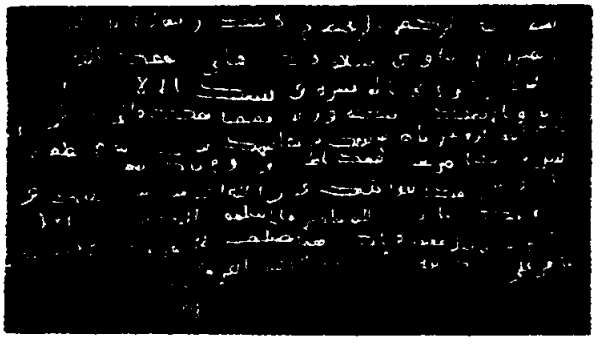

ونصها :

1 — بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
2 — المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله
3 — اليك الذي لا اله غيره ، وأشهد أن لا اله الا
4 — الله وأن محمدا نبيه ورسوله أما بعد فاني اذكرك
5 — الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع
6 — رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي
7 — وان رسلى قد أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك فى

1) راجع مجلة الهلال ، سنة 13 ، ص 103 و 160.

8 ــ قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه وعفوت عن اهل

9 ــ الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن

10 ــ اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية.

ولم يتيسر لي رؤية اصل الرسالة الموجهة الى نجاشي الحبشة ، او صورة لها ، ولو ان نصها موجود في معظم المصادر التاريخية ، ويلاحظ ان التشابه كبير ودقيق بين رسم هاتين الرسالتين ، وبين الرسم الذي كتب فيه النقش الذي عثر عليه في الفسطاط .

وثمة مجموعة من اوراق البردي ، يرجع اقدمها الى عام 40 للهجرة = 660 للميلاد ، عثر عليها في مكان قريب من اهرام سقارة ، وفي الفيوم واخميم والاشمونين والبهنسا وميت رهينة وادفو ؛ ووجد بعضها متلاصقا متماسكا متحجرا ، مطموسا بالتراب ، ووصل بعضها الآخر ممزقا كله او بعضه لرطوبة الارض ، او بفعل النيران ، ووجدت محفوظة في جرار من فخار او سلال، او ملفوفة في ادراج صغيرة ، مربوطة وعليها طابع المؤلف وخاتمه وتسرب معظمها الى مكتبات ومتاحف فيينا وبرلين وباريس ولندن . وقسم منها مكتوب باللغة اليونانية ، والقسم الآخر مكتوب باللغة العربية ، وقام بنشر هذا القسم الاخير ادولف جروهمان Adolf Grohmann استاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية في الجامعة الالمانية في براج ، واهمية هذه الوثائق من الناحية الادبية محدودة للغاية او معدومة ، لان جلها عقود ووثائق تتصل بحياة الناس اليومية من بيع وشراء ، ولكنها ذات اهمية بالغة في التاريخ لتطور الخط العربي ، وبخاصة في مراحله الاسلامية المبكرة ، قبل ان تصبح الثقافة امرا شائعا والخط فنا يهوى ويدرس ويعلم .

تدل هذه الوثائق على وجود كتابة منذ الفتح الاسلامي ، ذات اشكال مستديرة تختلف تماما عن الكتابة الكوفية الموجودة على المباني والنقود ونسخ القرآن القديمة . وازاء هذا الواقع دعا المستشرق سلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy الى اعادة النظر من جديد في الرأي القائل بأن الخط الكوفي سابق للكتابة العادية السريعة ، والتي عرفت بالنسخي ، لان استخدام هذا يظهر في اوراق البردي ، في الوقت الذي كتب فيه بالكوفي على المسلات والمباني . والحق أن هذا القول يصدق على كتابات القرن الاول الهجري السابع الميلادي ، أما كتابات القرن السادس الميلادي ، القرن الذي سبق مولد الاسلام ، فمن الصعب تأكيد هذه الحقيقة او انكارها ، لاننا لا نملك من هذا العصر سوى نقوش فحسب ، وليس بين ايدينا نموذج واحد للكتابة العادية التي تؤدي اغراضا عاجلة ، وتخط على ما كان يكتب عليه في تلك الحقبة من الزمن (1) . وتفسير هذا التباين باختلاف المواد المستعملة للكتابة عليها لا قيمة له لان الكتابة العادية سرعان ما حلت ، فيما بعد ، محل الكتابة الكوفية حتى على الحجر (2) .

ويعتقد برجيه Berger ان التباين بين الخط الكوفي والخط النسخي يعود الى اسباب جغرافية ، فالكوفي كان يكتب في بلاد العرب وسواحل سورية ، اما النسخي فكان مستعملا في مصر ، التي ظلت بعيدة عن التأثيرات السريانية فاحتفظت بحرية تصرفها ، وانها لتبدو كأنها الوارث الوحيد للانباط (3) . وقد حاول بلاشير أن يجرد هذه النظرية من قيمتها ، وان يرد التباين الى الاستعمال نفسه ، فالكتابة العادية السريعة (النسخي) هي المستخدمة في الاغراض العاجلة والمراسلات والعقود الرسمية او الخاصة ، والكوفية مخصصة للنقوش وحفظ النصوص الدينية ، واستدل على ذلك باستخدام الخط الكوفي في نقش الفسطاط (4) . والواقع أن الخط الذي كتب به نقش الفسطاط ليس كوفيا ، بل هو الى الخط النسخي اقرب ، وان يكن في صورة ساذجة غير متقنة (5) .

وبالجملة فان الخط العربي ، كما يرى برجيه « تولد تدريجيا ، بعد ان مر بمراحل عديدة من التطور الوئيد ، من كتابة السكان الذين كانوا يحتلون شمال شبه الجزيرة في القرون الاولى للميلاد » .

(1) Blachère, Régis : Histoire de la Littérature Arabe des Origines à la fin du XV^{e} siècle de J.-C., vol. I, 60 sqq., Paris, 1952.
(2) Février, J. : Histoire de l'Ecriture. Vol. I, 263, Paris, 1949.
(3) Berger, Ph. : Histoire de l'Ecriture. Vol. I, 291, 293. Paris, 1891.
(4) Blachère : Histoire de la Littérature Arabe, Vol. I, 63.
(5) انظر ص 50 .

وخضع هذا التطور لنفس القانون الذي خضعت له كل الكتابات التي اشتقت من الكتابة الآرامية ، لقد كان تغيرا تدريجيا « أجد به ودفعه فى تيار الاستعمال طريقة الوصل بين الحروف التي نرى تطبيقاتها الاولية فى نقوش تدمر وحوران » (1) لقد تولد الشكل الكوفى من السطرنجلي ، واشتق هذا من السرياني ، وكان مستخدما عند النصارى اليعقوبيين فى العراق ، بينما اشتق النسخي (أو الحجازي) من الخط النبطي ، وكان يستخدم فى المنطقة بين حوران والحجر (حديثا مدائن صالح) ، وفى أواخر القرن السادس كان مستخدما فى دومة الجندل (الجوف الحالي شرقي نجد) وفى الحجاز ، وبحكم المركز التجاري الهام الذي احتلته مكة فى الجزيرة العربية فى هذا القرن وقبله ، فمن المحتمل ان هذا الخط كان اكثر انتشارا مما نظن . ويمكن أن نوجز تطور الخط العربي فى الرسم التالي :

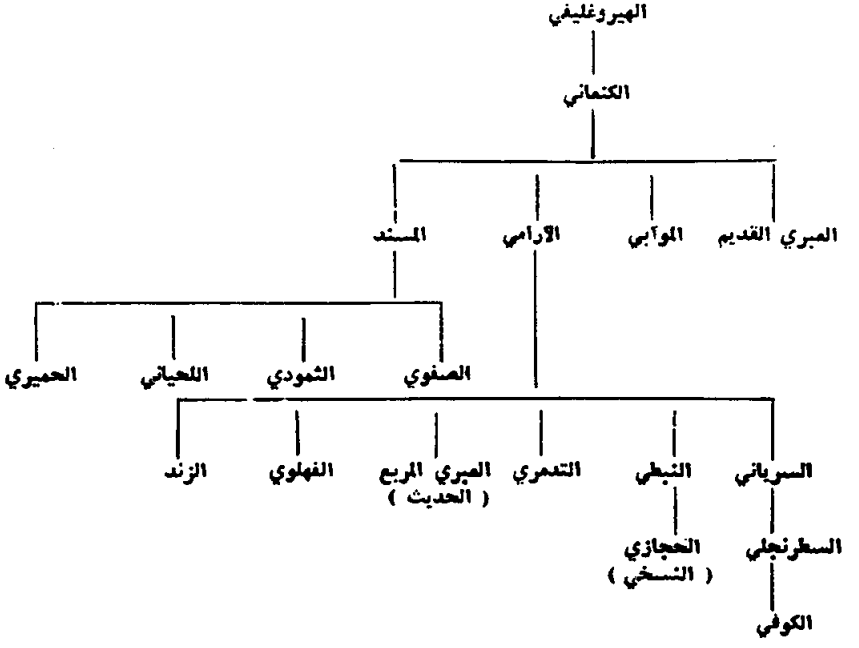

ويلاحظ فى هذه النقوش ، وكتابات صدر الاسلام، انها خالية من النقط والاعجام خلوا كاملا ، وهي ظاهرة تشترك فيها كل الابجديات السامية القديمة ، باستثناء الابجدية الحبشية . ويراد بالاعجام تمييز الحروف المتشابهة ، وبالنقط ، أو الشكل ، وضع علامات تدل على حركات الحروف ، قصيرة أو طويلة ، وفى عصور تالية لصدر الاسلام ، نجد من يستخدم النقط بمعنى الاعجام أحيانا .

وأول محاولة للنقط كان دافعها وهدفها ، كبقية العلوم الاخرى ، الحفاظ على دقة ضبط الفاظ القرآن الكريم ، ولما كان الناس يقرأون فى مصاحف عثمان رحمه الله وهي غير منقوطة ولا معجمة فيخطئون القراءة ، فكلمة « نتلو » قراها حفص بن سليمان بن المغيرة « تبلو » وقراها عبد الله بن مسعود « نتلو » وكلمة «سسا» قراها حفص «تثبيتا» وقراها مجاهد بن جبر « تبيينا » . والآية « جعل السقية (السقاية) فى رحل أخيه» قراها رجل « جعل السفينة فى رجل أخيه»، وأمثلة اخرى كثيرة ، وقف عليها حمزة الاصفهاني مؤلفا كاملا هو « التنبيه على حدوث التصحيف »(2) . ويروي المؤرخون أن أبا الاسود الدؤلي المتوفى عام 69 هـ = 688 م جزع للامر ، ودخل على زياد بن أبيه وهو والى العراقين ، فقال له : « أصلح الله الامير ! اني أرى العرب قد خالطت هذه الاعاجم ففسدت السنتهم . أفتأذن لي أن أضع لهم ما يقيمون به كلامهم ؟» فأبى عليه زياد ذلك ، ثم عاد فأمره بما نهاه عنه ، لانه

(1) M. de Vogûé : Syrie Centrale, p. 12, Paris,

2) مخطوط بمكتبة البرلمان بطهران — ايران ، تحت رقم 282 .

سمع اللحن بأذنه من رجل دخل عليه يقول : « أصلح الله الامير . توفى أبانا وترك بنون ... » فوضع أبو الاسود باب التعجب ثم باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف الجر والرفع والنصب والجزم ، وأخذ كلما سمع لحنة وضع القاعدة التي تصلحها (1) ثم وضع أول قواعد النقط : نقطة أعلى الحرف للفتحة، وبين يديه للضمة ، وتحته للكسرة ، وللتنوين نقطتان، ولم يضع علامة للسكون ، واعتبر اهماله علامة عليه.

ويبدو أن صنيع أبي الاسود الدؤلي لم يكن كافيا، فلم يوقف موجة اللحن والخطأ الفاشية. فكثر التصحيف وانتشر بالعراق ، بعد أن غبر الناس يقرأون فى مصاحف عثمان نيفا وأربعين سنة ، الى أيام عبد الملك بن مروان ، وأدرك الحجاج ذلك واعيا خطره « وفزع الى كتابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال : ان نصر بن عاصم قام بذلك ، فوضع النقط افرادا وأزواجا ، وخالف بين أماكنها بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحت الحروف ، فغبر الناس بذلك زمانا لا يكتبون الا منقوطا ، فكان التصحيف مع استعمال النقط أيضا يقع ، فأحدثوا الاعجام ، فكانوا يتبعون النقط بالاعجام » . أورد هذا النص أبو احمد العسكرى فى كتابه « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » ، وليس فيه ما يناقض الرواية الاولى ، فليس ثمة ما يمنع أن يكون أبو الاسود الدؤلي هو الذي بدأ الفكرة ، ثم جاء نصر بن عاصم فأتم ناقصها ، وأكمل قواعدها ، وزاد على سابقه الاعجام . ويدعم هذا الراي عندي أنا أبا الاسود جعل نقطه بمداد مخالف لما كتب به القرآن تحرزا ، ووضع نصر بن عاصم ، ومن بعده يحيى يعمر ، نقط الاعجام بنفس المداد الذي كان يكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبى الاسود . وقد انتشرت تلك الطريقة واضاف اليها الناس علامة التنوين فكانت نقطتين الواحدة فوق الاخرى ، وزاد أهل المدينة التشديد فجعلوها قوسين يجعلان فوق المشدد المفتوح ، وتحت المكسور ، وعن يسار المضموم ، ووضعوا نقطة الفتحة داخل القوس ، والكسرة تحت حدبته والضمة على شماله ، ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة ، وأبقوه على اصله مع الفتحة . وزاد أهل البصرة السكون فجعلوه جرة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه هكذا (ـــ) .

ظل الناس يكتبون على طريقة أبي الاسود ، ونصر بن عاصم ، طوال الدولة الاموية وصدر دولة بني العباس ، وفى الاندلس حتى أواسط القرن العاشر الميلادي ، فلما شاعت الثقافة ، واستكثر الناس من نقط الحروف واعجامها لتسهيل التعليم اشتبهت نقط الاعجام بنقط الشكل ، فاخترع الخليل بن أحمد المتوفى 170 هـ = 786 م الشكل الذي نستعمله الآن ، فجعل الضمة واوا صغيرة تخط فوق الحرف ، والفتحة الفا مستعرضة تكتب أعلاه ، والكسرة ياء راجعة ترسم تحته ، والشدة رأس شين مختزلة من « لفظ تشديد » ، والسكون رأس خاء مختزلة من لفظ « تخفيف » ، وهمزة القطع رأس عين مختزلة من لفظ « قطع » ، وهمزة الوصل رأس صاد مختزلة من لفظ « وصل » (2) .

هل كان النقط والاعجام موجودين فيما قبل القرن الاول الهجري ، أو بمعنى ادق قبل أن يبتدع أبو الاسود الدؤلي أولهما ، ونصر بن عاصم ثانيهما ؟ سؤال ليس من السهل الاجابة عليه نفيا أو اثباتا فى بساطة . لان النقوش التي لدينا ، جاهلية أو من آثار النصف الاول للقرن الاول الهجري ، غير منقوطة ولا معجمة ، ولا تحمل أية علامات لاصوات المد قصيرة أو طويلة ، ولو أن النقوش العربية التي دونت بالخط النبطي ، واشرنا اليها من قبل ، تحمل بعض كلماتها أصوات المد الطويلة ، وبخاصة الواو والياء ، مثل كلمة « الشعوب » فى نقش النمارة (3) و « شرحيل »

---

1) لا تزال أولية النحو العربى مجهولة لم تدرس بعد؛ ولا أتصور أن الامر تم بالبساطة التي تذكرها المصادر الاولى ، وكلها تقرر أن أبا الاسود الدؤلي وضعه من ذات نفسه وانشائه أو باشارة من الامام علي رضي الله عنه ، وأية دراسة جادة فيما أرى ، لابد أن تدرس النحو العربي مقارنا بنحو بقية اللغات السامية الاخرى ، وسوف تلقى هذه من الضوء ما يساعد على تكوين رأي علمي فيما يتصل بنشأة النحو العربي ومراحل تطوره .

2) جانب الدكتور علي عبد الواحد وافى الصواب حين زعم فى كتابه : فقه اللغة ص 175 ، الطبعة الثالثة ، القاهرة 1369 هـ = 1950 م ، أن مؤرخي العرب ينسبون اختراع هذه الطريقة الى أبي الاسود الدؤلي ، والحق أن النقط كان من صنعه ؛ أما طريقة الرسم هذه فمن عمل الخليل بن أحمد ، ولم يقل أحد منهم ان أبا الاسود هو الذي ابتدعها

3) راجع ص 45 .

و «المرطول» فى نقش « حران » (1) وأما الالف فأول ما نلقاها مكتوبة فى الرسائل النبوية الى المقوقس والمنذر بن ساوى (2) ، ولا نجد لاصوات المد القصيرة اية اشارة من اي لون فى اي نقش جاهلي ، ولم تصلنا كتابة جاهلية على رق أو بردي .

أما بعد الاسلام ، وقبل أبي الاسود الدؤلي ، فيذكر الدكتور ناصر الاسد ، نقلا عن الدكتور ادولف جروهمان ، أن ثمة بردية يرجع تاريخها الى عام 22 للهجرة ، على عهد عمر بن الخطاب ، وهي مكتوبة باللغتين العربية والبونانية ، وأن بعض حروفها منقوط معجم ، وهي حروف : الخاء والذال والزاي والشين والنون . ويذكر ، نقلا عن ج . س . مايلز G. C. Miles أن نقشا وجد بقرب الطائف يرجع تاريخه الى سنة 58 هجرية، على عهد معاوية بن أبي سفيان، وأن أكثر حروفه التى تحتاج الى نقط منقوطة معجمة (3) .

لم يتيسر لي الاطلاع على البردية التي أوردها جروهمان ، ولا أكاد أطمئن اليها ، لان الرسائل النبوية كتبت قبلها بما لا يزيد على خمسة عشر عاما ، وانفق فيها الكتاب كل جهدهم فنا وتجويدا ، لانها موجهة من رسول الى ملوك وأمراء ، ويراد لها ، لكي تؤدي رسالتها كاملة ، أن تكون واضحة الخط ، كاملة الرسم، سهلة القراءة ، لا تحمل اعجاما . وأن مصحف عثمان، وقد كتب بعد هذه الوثيقة بثمانية أعوام ، كان خاليا منه ، وما كان أحوجه اليه ، فمن أجل الحفاظ على نصه فكر العلماء فى النقط والاعجام . ووجود نقش وحيد بعض حروفه معجمة ، ويرجع الى فترة لدينا منها نقوش أخرى غير معجمة ، لا يكفي لتأصيل قاعدة وتقرير حقيقة ، فربما أضيف اليه الاعجام فيما بعد ، عندما أصبح أمرا شائعا فى كتابة النصوص والوثائق.

لم يتعود الناس النقط ، أو الضبط بمعنى أدق ، الا بعد فترة طويلة ، حين شاعت العامية ، وكثر اللحن . أما الاعجام فلدينا وثيقة ترجع الى سنة احدى وتسعين هجرية ، لم يعجم الكاتب منها على طولها النسبي غير كلمتين ، الكلمة الاولى من السطر الثاني عشر « يشتكيك » ، والكلمة الاولى من السطر الاخير « سنه » ، ظنا منه ان ترك اعجامهما يترك القارىء فى لبس ، وصورة الرسالة فى الصفحة المقابلة ، ونصها :

. . . . . فادفع اليه ما كان
أما بعد فان هشام بن عمر له بأرضك من جاليته
كتب الي يذكر ولا أعرفن ما رددت
جالية له بأرضك رسله أو كتب الى
وقد تقدمت الى يشتكيك والسلام
العمال وكتبت اليهم على من اتبع الهدى وكتب
الا يؤوا جاليا فاذا يزيد فى جمادى الآخرة
جاءك كتابي هذا سنة احدى وتسعين

1) راجع ص 44
2) راجع ص 52 ، 53 .
3) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 . والمصدران اللذان نقل عنهما هما :
(1) Adolf Grohmann: From the World of Islamic Papyri, pl. II (α).
وصورة البردية ووصفها ونصها مع ترجمتها فى ص 113 — 114 . ثم انظر ص 82 من نفس الكتاب .
(2) G. C. Miles: Early Islamic Inscriptions Near Taif in the Hijaz, JNES, 7 (1948).
وصورة النقش هناك رقم 18 .

ولكني أشارك الدكتور ناصر الاسد رأيه ، في أن عدم وجود الاعجام — والنقط لم يكن موجودا قطعا — فيما بين ايدينا من نقوش جاهلية ، لا يعني بالضرورة ان الاعجام لم يكن معروفا ولا مستعملا ، فربما كان ذلك « ناجما عن اطمئنان الكاتب الى ان كلماته هذه المنقوشة في نجاة من التصحيف والخلط في القراءة ، لانها اسماء أعلام ، وسنوات ، وكلمات بينهما من اليسير معرفتها وربما كان مما يسوغ له اهمال النقط فوق ذلك صعوبة فنية ومشقة عملية في النقش » .

وفي عرض الدكتور الاسد للمشكلة خلط بين لفظي « النقط » و « الاعجام » ، فأورد كلمتي « منقوط معجم » و « ومنقوطة معجمة » (1) ، مما يوقع الدارس في حيرة ، لان النقط يعنى به رسم أصوات المد والسكون ، لضبط نطق الكلمات ، على حين ان الاعجام يعنى به النقط الذي يفرق بين الاحرف المتشابهة ، والقول بجريانه فيهما على الترادف لا يزيل الشبهة ، لانه جاء بهما معا ، ولو استخدم أحدهما دون الآخر لكان له في الترادف مندوحة .

ومنذ العصر العباسي اخذ الخط الكوفي يتنوع حتى أربى على خمسين نوعا ، من أشهرها : المحرر ، والمشجر ، والمربع ، والمدور ، والمتدخل . وبقي الخط الكوفي مستعملا في المباني والسكة الى القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي ، ثم نسي جملة ، حتى عاد اليه الفنانون في عصرنا الحديث ، يحيون دارسه فيما يكتبون على جدر المباني زخرفة ، او يخطون من عناوين الكتب تجميلا .

أما خط الرسائل فكان لونا مستنبطا من الخط الكوفي والحجازي ، ابتدعه قطبة بن المحرر في اواخر الدولة الاموية ، فاخترع خط « الجليل » الذي يكتب به على المباني ونحوها ، وتوجد نماذج متعددة على جدران مساجد القاهرة ومدارسها واربطتها وسبلها وخرائب قصورها . ثم « الطومار » وهو اصغر من « الجليل » ، وكانت تكتب به أسماء السلاطين وعلاماتهم على المنشورات والعهود . وفي العصر العباسي ولد ابراهيم الشجري قلم الثلثين (أي ثلثي الطومار) ، واخترع من الثلثين آخر سماه « الثلث » . وولد يوسف أخوه من «الجليل» القلم الرياسي، وسمي كذلك لانه أعجب ذا الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون ، فأمر أن تحرر به الرسائل السلطانية ، ولا تكتب بغيره ، ثم عرف فيما بعد بقلم التوقيع .

واخترع الاحول المحرر قلم « النصف » ، « وخفيف الثلث » ، وقلما ليس في حروفه شيء ينفصل عن غيره وسماه « المسلسل » ، وكانت تكتب به عامة الرسائل ، وغبار « الحلبة » وكان يكتب به في بطائق الحمام الزاجل والرقاع وغيرها .

ثم جاء الوزير أبو علي محمد بن مقلة (2) ، واخوه ابو عبد الله الحسن ، المتوفى 338 هـ = 949م، فتم على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه، على الاشكال التي نعرفها الآن ، فضبطا الحروف ، وقدرا مقاييسها وابعادها ، واحكما ضبطها ،واخترعا له القواعد ، وعنهما انتشر الخط العربي كامل الصورة في مشارق الارض ومغاربها .

ثم اخترع الشكل الفارسي ، وكان استعماله عاما في أواسط آسيا وفارس وابدع الخطاطون الاتراك فيما لدينا من اشكال للخط العربي ، وحولوا بعض انواعه وخاصة الرقاع (الرقعة) الى ما نعرفه الآن .

---

1) مصادر الشعر الجاهلي ، ص 40 .

2) كان ابن مقلة شيخ الخطاطين دون منازع ، تولى في بدء حياته بعض أعمال فارس ، ثم أصبح وزير الخليفة المقتدر بالله سنة 316 هـ = 927 م ، ثم كاد له أعداؤه عنده فقبض عليه سنة 318 هـ ، وصادر أمواله ونفاه الى فارس . وأصبح وزيرا للراضي نوشى به أعداؤه ثانية فقبض عليه وعزل وبقي معتزلا الوزارة .

وحاول ابن مقلة أن يكيد لابن رائق أمير الامراء ببغداد عند هذا الخليفة المستضعف ، فوشى به الخليفة الى ابن رائق ، فقبض عليه وقطع يده اليمنى . ثم ندم الراضي على ذلك ، وأمر الاطباء بملازمته الى أن برأ ، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به . وكاد له ابن رائق عندما أحس بأن الخليفة يفكر في أن يوليه الوزارة ، فكانت النتيجة أن قطع لسانه ، وأقام في الحبس مدة طويلة ، قاسى فيها عناء شديدا ، ولم يزل به حتى توفي عام 328 هـ = 939 م ، ومن شعره :

ما سئمت الحياة لكن توثقت ... بايمانهم فبانت يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى ... حرموني دنياهمو بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدي ... حفظ أرواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش ... يا حياتي بانت يميني فبيني

وارتقوا بالمسلسل الى الغاية ، وولدوا منه خط العلامة السلطانية (الهمايوني) . وكان اشهر خطاطيهم الحافظ عثمان بن علي ، وهو نابغة الخطاطين جميعا ، واختير معلم خط للسلطان احمد خان الثاني (خليفة من 1691م الى 1695 م) ، وللسلطان مصطفى خان الثاني (خليفة من 1695 م الى 1703 م) ، وكان يجلس كل يوم احد لتعليم الفقراء الخط مجانا ، ويوم الاربعاء لتعليم الاغنياء بأجر . واشهر المصاحف واكثرها تداولا مكتوب بخطه وقد نسخ منها خمسة وعشرين ، ومقدارا كبيرا من الرقاع والالواح واجزاء القرآن ودلائل الخيرات

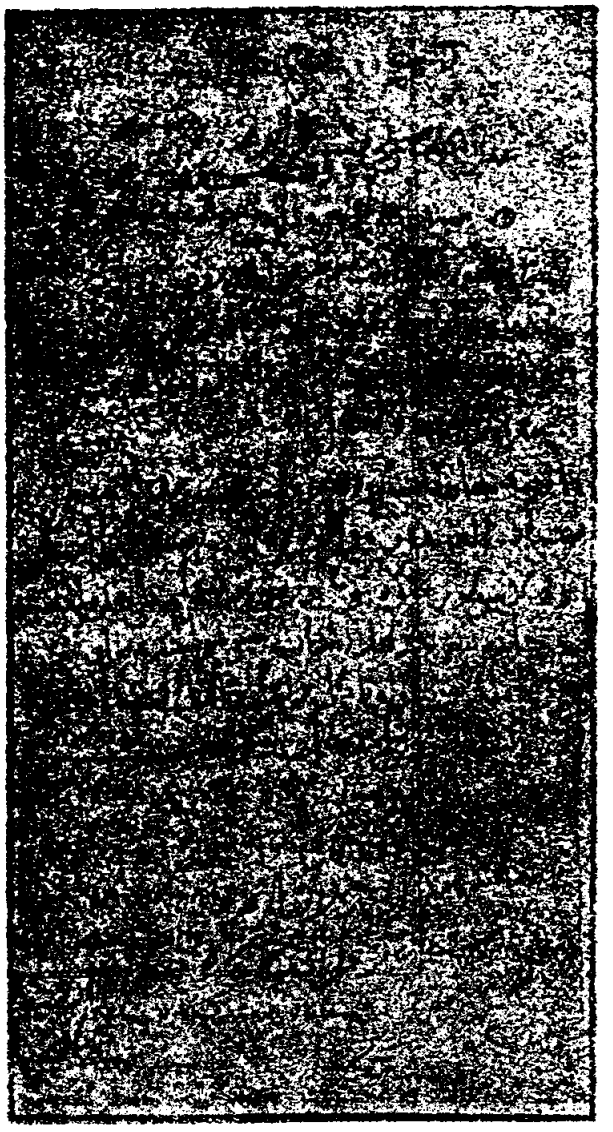

صورة وليقة مكتوبة على ورق البردى ترجع الى عام 393 هـ

وقد أوقف ابو العباس شهاب الدين احمد بن علي المعروف بالقلقشندي ، نسبة الى القرية التي ولد فيها، والمتوفى عام 821 هـ = 1418 م جانبا كبيرا من الجزء الثالث من موسوعته « صبح الاعشى » على الخط العربي ، تتبع فيه نشأته واشكاله وفنونه ، وقواعده وصوره وهندسة حروفه ، وما يكتب به ، وما يكتب عليه ، وقوانين الكتابة وآدابها وطرقها . ونظم زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثاري ، محتسب مصر ، ألفية فى صناعة الخط وسمها « العناية الربانية فى الطريقة الشعبانية .»

اما الاندلسيون والمغاربة فلم يسلكوا نهج ابن مقلة واصحابه ، فظلوا يكتبون على طريقة الخط الحجازي الى الآن ، مع شيء من التعديل ، وابدعوا داخل هذا الاطار فنونا منه ، وربما مال « الجليل » عندهم الى بعض قواعد « الثلث » فى أواخر عصورهم، كما يشاهد على جدران الحمراء بغرناطة . ويختلف اهل المشرق عن اهل المغرب فى ترتيب الحروف ، فهي عند اولئك : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و لا ي . وهي عند هؤلاء : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي . كما يختلف اهل المغرب عن اهل المشرق فى اعجام الفاء والقاف ، فهم ينقطون « الفاء » بنقطة من اسفلها ، والقاف بنقطة واحدة من اعلاها . وفى استخدام الشكل اللاتيني المعاصر للارقام ، وهو استخدام سابق لموجة الاستعمار الاوربي المعاصر فى العالم الاسلامي ، وليس نتيجة له. ويرى علماء المغرب ، وهم على حق ، أن صور الارقام التي يستخدمونها عربية أصيلة ، وليست منقولة عن الرسم اللاتيني ، لان أوربا لم تكن تعرف هذه الارقام، وانما تعلمتها عن العرب ، عرفها جيربرت Gerbert (930 — 1003 م) فى الاندلس حيث تلقى دراساته العالية ، واشاعها بنفوذه حين أصبح بابا الكاثوليك تحت اسم سلفستر الثاني Silvestre II عام 999 م . ويتحدث عنه المؤلفون الغربيون القدامى كمخلص للعالم المسيحي (الاوربي) من ضنك الارقام الرومانية، وحامل معجزة الصفر والنظام العشري اليها من العرب ، وهو الذي طالع أوربا بأول كتاب من نوعه فى علم الحساب بالارقام العربية ، وقد وجد فيها الاوربيون متعة لا تعوض لعظم فائدتها وبساطة تركيبها . وقد تطورت هذه الارقام فى المشرق بينما احتفظ بها المغرب ، أو طورها قليلا ، وهم يستخدمون هذه الارقام الآن فيما يكتبون أو يطبعون . وسواء أكان

وقد أمر نبينا عليه السلام بقتال كل من يغزو ولم يجز رجل بناء لم يكمله ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا رجل زرع زرعا ولم يحصده **وعليه** النكير في عزامة جيشه مرغبة الغزو بأن يستعين المكاره والمراجر ويرتب الطلائع على الموارد والمغاصر ويتخير المنازل بحسب الاحوال في كل زمان ومكان ويتغفل عن ابطالها فان غزا كثيرا من عدو وماء ومنابع واحرزها اكنافا واطرافا ويصير عزامة يأمر بها عسكره فان عسر الرحال وتعسر اليه النجوم من جهال الذعة واخذ الاهبة والتهيئة لوقت الحاجة فيكون لها اغور على المنازلة وافوى على المرابكة **وعليه** احراز ما يحتاج اليه الجيش من زاد وعلوفة يجزع لذلك عليهم في وقت الحاجة اذا انفرد زادهم لعسكر نفوسهم اليه ويتفقون بادة يستغنون عن حملها فيكون نزاعهم الى الحاربة اوفى والمنازلة الحر وافوى واصح **وعليه** ان يتعرف احوال عدوه ويتسمع مع الشاعات وفي كل ناحية اخبارهم حتى يعلم ما خوالهم ويعلم مغاصرهم واغراضهم ويتجسس في اذكاء العيون وبث الرصد ويعتمد من يثق به في استعلام بغاة العدو ويتحرز من مكرهم وخدعهم ويلتمس الغرة في المهزوم عليهم اذا رأى لذلك فرصة وتبين لهم غفلة فان الحزم في خدعة وفي الغفلة والثاني عند الناصر لحه **وعليه** ان يتعرف احوال الناس في عسكره وعما يحتاجون الى الخروج في غارة او معتلبة فيسير لذلك ويعرف الخارجين في البعوث باسامي المرتزقة في جريدته وهيئاتهم وزيهم وعلمه بالجهات فان اكثر ما يصاب في ذلك لعدم العلم باستقبال وادي المنع مزدلف العدو مرغرة او جبل يكون من العدو فاذا وثق بالتفوق عن الخروج حتى يعبر اميرا وفيه جماعة تكون ردءا للمعتلبة ويكون الخروج لشيء مزدلفا فاذا خرج فقد نظم اميرا وجماعة كأن يركب الخيل في اعمال فاذا عسكر

الباب السابع في امتثال الغازي امر امامه واميري عسكره وقائد جماعته

يجب على الغازي امتثال امر امامه او اميري عسكره او قائد جماعته والمخالفة في شيء من امره ما استطاع ما لم يرا من صنعة في عمل او تدبير في رتبة او حيلة او مكيدة على عدو او نكير في بعث كليحة او مرتبة او رأيا او خواصة لجانب او كيد لغارة او تجريد جريدة لشغل جهة او جلب عيش او فرصة او غنيمة واشباه ذلك من الوجوه التي للامير النظر فيها فان الله سبحانه والخليفة

صفحة من مخطوطة « تحفة الانفس وشعار سكان اهل الاندلس » لابن هذيل الاندلسي ، وهي مكتوبة بخط اندلسي

الرسم الاصلي هو المستعمل عندهم ، او ما يجري عليه العمل عندنا في المشرق ، فمن الخير توحيده بين جناحي العالم العربي . فان الرسم متشابك ، يزداد كل يوم قربا ، فان الرسم المغربي للارقام وهو نفس الرسم اللاتيني ، يبدو اكثر فائدة واعم نفعا .

يستخدم الرسم العربي في وقتنا الحاضر عند جميع الشعوب الناطقة باللغة العربية ، ما عدا اهل مالطة فلهجتهم ترسم بحروف لاتينية ، وقد اتخذته امم اخرى لا تتكلم العربية لتدوين لغاتها ، كالفرس وسكان مدغشقر وزنجبار ، واللغة الاوردية ، وكانت تدون به اللغة التركية ، قبل ان يثور كمال اتاتورك على ماضي وطنه وتاريخه ، فالغى الرسم العربي عام 1925 ، واتخذ عوضا عنه الرسم اللاتيني . ومع نهاية دولة المسلمين في الاندلس ، واكراه المسلمين قسرا على التخلي عن عقيدتهم ولغتهم وتقاليدهم ، اخذ المسلمون المتنصرون يكتبون لغتهم الاسبانية بحروف عربية ، وخلفوا لنا بعضا من تراثهم الثقافي بها ، وكان يطلق عليهم الموريسكوس Moriscos وعلى لغتهم الخميادو Aljamiado كما ان بعض المؤلفات العربية دونت برسم غير عربي ، فدون عدد قليل منها في الاندلس بالرسم العبري ، وعدد آخر في المشرق بالرسم السرياني . وتبذل جمهورية الصومال الاسلامية جهودا كبيرة لكتابة اللغة السواحلية التي يتكلمها سكان الصومال ، وسواحل افريقيا الشرقية ، وهي لغة غير مكتوبة حتى الآن ، بحروف عربية . وهي محاولة اذا قدر لها النجاح تفتح الطريق امام الحرف العربي الى بقية دول القارة الافريقية .

وضعية اللغة العربية والثقافة الاسلامية في المؤسسات الاسبانية الرسمية

هناك ثمانية كراسي للعربية وللثقافة الاسلامية بكليات الفلسفة والآداب في اسبانيا (مدريد ، برشلونة ، غرناطة ، سرقسطة) وتتوفر بقية كليات الفلسفة والآداب على اساتذة مكلفين بالعربية . وبلغ طلبة **الاقسام العامة** العربية في الجامعة الاسبانية في السنة الماضية حوالي الفي طالب . ويتابع نحو سبعين طالبا تخصصهم في اللغات السامية .

وهناك مراكز اخرى تدرس فيها العربية وهي : المدرسة الدبلوماسية ، والاكاديمية العسكرية العامة ، واكاديمية المشاة ويبلغ فيها المتوسط السنوي خمسة عشر تلميذا كما تتوفر مدارس التجارة على العربية كمادة وهناك مشروع لتعميم تعليم العربية بين تلاميذ التعليم الثانوي . وفي المعهد الاسباني بطنجة يوجد كرسي استاذ للعربية كما ان هناك مراكز اخرى لتعليم العربية وهي : الدراسات العربية بغرناطة (90 تلميذا) ، والمدرسة المركزية للغات في مدريد (35 تلميذا) .

اما مراكز البحث في علوم العربية في اسبانيا فتشمل مدرسة الدراسات العربية بمدريد ، ومثلها بغرناطة ، وهما تابعتان للمجلس الاعلى للابحاث العلمية وتشمل كرسي « فرنسيسكو كوديرا » بمعهد فرناندو الكاثوليكي بسرقسطة ، وكراسي العربية ومصادرها بغرناطة ومعهد الدراسات الخليفية بقرطبة ، والمعهد الاسباني العربي للثقافة بمدريد .